قدامة بن جعفر

وجهوده النقدية في نظر الباحثين المحدثين

للدكتور محمود حسن زيني

شخصية قدامة :

إن شخصية قدامة بن جعفر لم توضحها مصادر الأدب القديم ، فلم تذكر تلك الكتب سنة ميلاده، ولم تؤكد سنة وفاته كذلك . ولم نعرف شيئاً عن حياته العلمية أو عن حياته الخاصة او العامة . وكل ما قيل عنه إنه عاصر أو أدرك زمن ثعلب والمبرد وأبي سعيد السكري وابن قتيبة وطبقتهم كما يؤكد ذلك ياقوت[1] ويبدو أنه سأل ثعلباً كما يشير الى ذلك ابن الجوزي في تاريخه . ولذا يستنتج الاستاذ « عبد الحميد العبادي » محقق كتاب « نقد النثر » أن ذلك يفيد بأنه ولد حوالي سنة ٢٧٥ هـ مع تقدير أن سنّه لم تكن تقل عن خمسة عشرعاماً وقت سؤاله ثعلباً[2] .

ويرى الأستاذ « كمال مصطفى » محقق كتاب « نقد الشعر » أن ذلك يدلنا على انه ولد حوالي سنة ٢٦٥ هـ . فإن ابن قتيبة توفي سنة ٢٧٦ هـ وثعلب توفي سنة ٢٩١ هـ ، وأن قدامة أدرك ابن قتيبة وهو في الحادية عشرة وأدرك ثعلباً وهو في السادسة والعشرين تقريباً[3] . أما الدكتور « بدوي طبانة »

---

(١) معجم الأدباء ١٤/١٧

(٢) نقد النثر : تحقيق د . طه حسين والاستاذ عبد الحميد العبادي ص ٣٦ وقد ذكر التاريخ خطأ سنة ٣٧٥

(٣) نقد الشعر . تحقيق كمال مصطفى . م الخانجي سنة ١٣٦٧ ص ٤ وانظر : طبانة ص ١١٦ - ١١٧

فقد رجح احتمال أن تكون ولادته حوالي سنة ٢٦٠ في خلافة المعتمد»[١] .

أما سنة وفاته فيقول ابن الجوزي : انه توفي سنة ٣٣٧ هـ في أيام المطيع ، ولا يعتمد ياقوت على ما تفرد به ابن الجوزي لأنه عنده كثير التخليط[٢] . وقد أكد الأستاذ العبادي صحة ما ذهب إليه ابن الجوزي وذلك بسبب تأكيد ابن تغري بردي وفاته في العام المذكور .

والواقع ان شخصية قدامة لم توضحها المصادر العربية كما لم تدرسها دراسة نقدية جادة اللهم إلا ما قام به الدكتور بدوي طبانة في رسالته العلمية لدرجة الدكتوراه في « دار العلوم » .

ثقافة قدامة :

ذكرت المصادر العربية أن لقدامة بن جعفر ثقافات عدة محلية وخارجية . فقد تشبع بروح عصره ؛ فاغترف من الثقافات الاسلامية بنصيب كبير . فدرس اللغة والأدب والبلاغة والفقه والكلام والفلسفة والحساب والمنطق وأجاد في كل ذلك . يقول عنه ياقوت الحموي : « فقرأ واجتهد وبرع في صناعتي البلاغة والحساب ، وقرأ صدراً صالحاً من المنطق ، وهو لائح على ديباجة تصانيفه و . . واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر وصنف في ذلك كتباً[٣] منها : « كتابُ نقد الشِّعْر له . . . » .

وذكر الباحثون المحدثون ومنهم الأستاذ عبد الحميد العبادي[٤] أن قدامة ابن جعفر تثقف ثقافات أربع ثقف بها وتأثر بها ، وكانت كلّها تقوم عليها المدنية الإسلامية : العربية والفارسية واليونانية والهندية . وكتابه « نقد الشعر » يثبت ثقافته الواسعة وعلمه بالعربية وبشعرها . . و« كتاب الألفاظ » يثبت مدى إحاطة قدامة بمفردات اللغة العربية وعلى حسن اختياره للألفاظ

(١) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي : د . بدوي طبانة (الانجلو- المصرية) سنة ١٩٥٤ م ص ٤٣

(٢) انظر ياقوت الحموي في : معجم الأدباء ج ١٧ ص ١٣ (دار إحياء التراث) .

(٣) معجم الادباء : ج ١٧ ص ١٤

(٤) نقد النثر ص ٣٨

وتأليفها . وهذا يفسر ما قيل من أن ابن جعفر يعدّ ثاني اثنين ألفا علم البديع هما : عبد الله بن المعتز ، وقدامة بن جعفر .

أما ثقافته الفارسية فتتضح فيما كتبه في كتاب الخَراج عما يسمى « بالآداب السلطانية » على غرار ما كتبه « ابن المقفع » نفسه في هذا الشأن . وقد تحدث قدامة في هذا الكتاب عن جغرافية الدولة الاسلامية في ذلك العصر وتحدث عن نظمها المالية كذلك .

وقد حاول الدكتور طه حسين[1] في مقدمة كتاب « نقد النثر » أن يثبت تأثر قدامة بثقافة اليونانيين ، والتمس ذلك في كتابيه نقد الشعر ونقد النثر .

وأما ثقافة ابن جعفر الهندية فتبدو جلية في براعته في الحساب براعة جعلت شارح مقامات الحريري في القرن السابع الهجري يسجل ما قيل بأن ابن جعفر أول من وضع علم الحساب . يقول المطرزي : « وقيل هو أول من وضع الحساب »[2] .

كتبه :

إذا كان الغموض قد اكتنف حياة قدامة بن جعفر فإن الشك قد تطرق إلى بعض كتبه كذلك . لقد شك بعض القدامى ـ وهو ناصر بن عبد السيد المطرزي ـ أحد علماء القرن السابع الهجري المتوفى سنة ٦١٠ هـ وشارح مقامات الحريري ـ في صحة نسبة كتاب نقد الشعر لقدامة خاصة . قال عنه ما نصه : « وهو نقد الشعر حسن في الغاية ، طالعته ، ونقلت منه أشياء وقيل : هو لوالده جعفر »[3] وقد ردّ الدكتور بدوي طبانة على هذا الزعم والوهم وعزا ذلك إلى عدم التدقيق في النقل .

---

(١) تمهيد في البيان العربي للدكتور طه حسين (مقدمة التحقيق لكتاب نقد النثر) ١٢ ، ١٧ ، ١٩ .

(٢) عبد الحميد العبادي مقدمة في نقد النثر ص ٣٩ .

(٣) الايضاح ـ الورقة ٤٠ ، وانظر : مقدمة « نقد النثر » لعبد الحميد العبادي ص ٣٤ ، وكذلك الفصل الخامس بكتب قدامة في كتاب الدكتور بدوي طبانة ص ١١٦ .

غير أن مما يثبت نسبة كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر اعتراف الأوائل له بالتأليف في هذا الحقل . فقد صرح ياقوت الحموي بأن قدامة ألف في نقد الشعر . قال عنه : « فقرأ واجتهد ، وبرع في صناعتي البلاغة والحساب ، وقرأ صدراً صالحاً من المنطق ، وهو لائح على ديباجة تصانيفه ، وان كان المنطق في ذلك العصر لم يتحرز تحريره الآن . واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر ، وصنف في ذلك كتباً منها[1] : « كتاب نقد الشِّعْر له . . » .

ولقد أثبت الشيخ أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ نصوصاً من كتاب نقد الشعر في كتابه : « معجم الشعراء » و « الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء » . لقد حفظ المرزباني في موشحه نصوصاً نقدية لكثير من نقاد الشعر العربي الأوائل عامة وأثبتت تلك النصوص صحة نسبة الكتب النقدية التي وصلتنا إلى مؤلفيها ، وقطعت الطريق على الذين شكوا في نسبتها إلى أصحابها . ومن بين تلك النصوص النقدية التي أثبتها المرزباني في موشحه نصوص كثيرة منقولة عن كتاب « نقد الشعر لقدامة ابن جعفر خاصة . وهذه النقول الكثيرة تقطع بصحة نسبة كتاب نقد الشعر لقدامة ابن جعفر بلا شك ولا مراء . وقد أرجع المحدثون ومنهم محقق كتاب « الموشح » الأستاذ علي[2] محمد البجاوي ـ رحمه الله ـ النصوص الموجودة في « الموشح » المقتبسة من كتاب نقد الشعر إلى مواضعها في الكتاب المذكور .

وحاول كذلك الأستاذ الدكتور بدوي طبانة في رسالته العلمية : « قدامة بن جعفر والنقد الأدبي » إرجاع فصول كاملة من كتاب « الموشح » إلى مصدرها في كتاب « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر . منها ما نقله المرزباني عن قدامة في عيوب

(١) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب : ياقوت الحموي جـ ١٧ ص ١٤ وانظر كذلك مقدمة العبادي لنقد النثر ص ٣٨ .

(٢) انظر كتاب الموشح (تحقيق الاستاذ علي محمد البجاوي ـ دار نهضة مصر سنة ١٩٦٥) في الصفحات ١٢١ ـ ١٢٩ ـ ٢١٠ ـ ٣٤٦ ـ ٣٥٤ ـ ٣٦٢ ـ ٣٦٩ ـ ٤١٠ ـ ٤١٢ ـ ٤٩٤ ـ ٤٩٩ ـ ٥٣٩ ـ ٥٤٣ .

الوزن كله ، وفساد الأقسام ، وفساد المقابلات ، والتعطيل والمقلوب ، والمبتور ، والإقواء ، وعيب المديح بغير الفضائل النفسية ، وعيوب الغزل ، والتناقض ووجوهه ، ومخالفة العرف ، ونسبة الشيء الى ما ليس له ، والإخلال وعكسه ، والحشو والتثليم والتذنيب والتغيير ، وفساد التفسير وعيوب ائتلاف المعنى والقافية ، والفرق بين الممتنع والمتناقض وباب عيوب اللفظ كله[1] .

واستخلص الدكتور طبانة من تلك النقول الكثيرة والفصول الموجودة في كتاب الموشح ، أن مادة كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر كما وصلت إلينا نصوص صحيحة كاملة .

على أن مما يقطع الشك كذلك في نسبة هذا الكتاب إلى قدامة أن عدداً غير قليل من مصادر الأدب والتاريخ[2] والتراجم قد ذكرت مؤلفات كثيرة لقدامة بن جعفر وذكرت له خاصة كتابه « نقد الشعر » . وقد ذكر محمد بن اسحاق أن له من الكتب : « كتاب الخراج . . . ، **كتاب نقد الشعر** ، كتاب صابون الغم ، كتاب صرف الهمّ ، كتاب جلاء الحُزْن ، كتاب درياق الفكر ، كتاب السياسة ، كتاب الردّ على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام ، كتاب حَشو حِشاء الجليس ، كتاب صناعة الجدل ، كتاب الرّسالة في أبي علي بن مقلة وتعرف بالنجم الثاقب ، كتاب نُزهة القلوب وزاد المسافر ، كتاب زهر الربيع في الأخبار »[3] . وقد أكد حاجي خليفة نسبة كتاب « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر في « كشف الظنون[4] عن أسماء الكتب والفنون » .

جهود ابن جعفر النقدية :

إن مما يهمنا هنا هو أن نتعرف على مذهب قدامة النقدي في كتابه نقد الشعر .

ولعل أول ما يلاحظ على قدامة في هذا أنه قسم علم الشعر إلى خمسة أقسام ، وأشار إلى ذلك في أول مقدمته . يقول :

---

(١) انظر : قدامة بن جعفر للدكتور بدوي طبانة ص ١١٧ - ١١٨

(٢) انظر : النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٣ ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٣) معجم الأدباء ١٧/ص ١٣

(٤) انظر كشف الظنون جـ ٢ ص ٦١٢

« العلم بالشعر ينقسم أقساماً ، فقسم ينسب إلى علم (١) عروضه ووزنه ، وقسم ينسب إلى علم قوافيه (٢) ومقاطعه ، وقسم ينسب إلى علم غريبه (٣) ولغته ، وقسم ينسب إلى علم معانيه (٤) والقصد به ، وقسم ينسب إلى علم (٥) جيده ورديئه »[١] .

وقد لاحظ قدامة أن المشتغلين بنقد الشعر اهتموا كثيراً بالأقسام الأربعة الأولى ، وأن عنايتهم بالقسم الأخير من علوم الشعر تكاد لا تذكر . يقول قدامة : « وقد عني الناس بوضع الكتب في القسم الأول وما يليه إلى الرابع عناية تامة . فاستقصوا أمر العروض والوزن ، وأمر القوافي والمقاطع ، وأمر الغريب والنحو ، وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر وما الذي يريد بها الشاعر، ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتاباً . وكان الكلام عندي فى هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المعدودة » . ثم أخذ قدامة يعلل سبب اهتمامهم بتلك الأقسام كما يعلل عدم اهتمامه هو إلا بالقسم الأخير من علوم الشعر : وهو يرى : أن « علم جيد الشعر من رديئه ، فإن الناس يخبطون في ذلك منذ تفقهوا في العلوم ، فقليلاً ما يصيبون ، ولما وجدت الأمر على ذلك ، وتبينت أن الكلام في هذا الأمر أخص بالشعر من سائر الأسباب الأخرى ، وأن الناس قد قصروا في وضع كتاب فيه ، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع »[٣] .

وإذا كان محمد بن سلام الجمحي في كتابه « طبقات فحول الشعراء » لا يهتم بجودة الشعر إذا كان قليلا ، وانه يهتم بكثرة الشعر وإن كان غير جيد في معظمه .

وإذا كان ابن قتيبة يقسم الشعر الجيد إلى أقسام أربعة : قسم جاد معناه ولفظه ، وقسم جاد لفظه وقصّر معناه ، وقسم جاد معناه وقصّر لفظه ، وقسم رابع قصّر معناه وقصّر لفظه . فان تقسيم الجيد من الشعر

(١) نقد الشعر : قدامة بن جعفر ص ٩ (٢) نقد الشعر ص ٩ (٣) نقد الشعر ص ١٠

عند قدامة بن جعفر يقع في أقسام ثلاثة .
١ ـ جيد ٢ ـ صالح أو متوسط ٣ ـ رديء .
يقول قدامة موضحاً تقسيماته هذه للجيد من الشعر : « فإذا قد صحّ أن هذا على ما قلناه فلنذكر صفات الشعر الذي إذا اجتمعت فيه **كان في غاية الجودة** ، وهو الغرض الذي تنحوه الشعراء بحسب ما قدمناه من شريطة الصناعات ، والغاية الأخرى والمضادة لهذه الغاية هي نهاية الرداءة . وأذكر أسباب الجودة وأحوالها وأعداد أجناسها ، ليكون ما يوجد من الشعر الذي اجتمعت فيه الأوصاف المحمودة كلها وخلا من الخلال المذمومة بأسرها يسمى **شعراً في غاية الجودة** ، وما يوجد بضد هذه الحال يسمى شعراً في غاية **الرداءة** ، وما يجتمع فيه من الحالين أسباب ينزل له اسماً بحسب قربه من الجيّد أو من الرديء ، أو وقوعه في الوسط الذي يقال لما كان فيه : صالح أو متوسط ، أو لا جيد ولا رديء . فإن سبيل الأوساط في كل ما له ذلك أن تحدّ بسلب الطرفين كما يقال مثلا في الفاتر الذي هو وسط بين الحار والبارد : انه لا حار ولا بارد ، والمزّ : الذي هو وسط بين الحلو والحامض لا حلو ولا حامض »[1] .

والحقيقة أن كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر يمثل ظهور حركة النقد الفلسفي عند العرب . وهذا يؤيد ما ذهب اليه بعض الباحثين المحدثين . فإذا كنا قد رأينا النقد ينمو ويتطور في القرن الثالث الهجري بسبب نمو أذواق الأدباء ورقي عقول اللغويين الذين نظّموا الشعراء القدماء والمحدثين في طبقات . وكان هذا حال النقد عند العرب حتى ظهر كتاب الخطابة لأرسطاليس في العقد الأخير من القرن الثالث الهجري عندما ترجمه متى بن يونس المتوفى سنة ٣٢٨ هـ . فقد ظهرت بعد ذلك صفحة جديدة في تاريخ النقد عند العرب واضحة في محاولات النقاد العرب آنذاك في التعرف على الفلسفة اليونانية ومحاولة تطبيقها على الشعر والنثر العربيين .

وأخذ قدامة بن جعفر يطبق قواعد الفلسفة اليونانية على الشعر العربي وترك لنا كتابه « نقد الشعر » الذي تأثر فيه بأرسطو

(١) نقد الشعر ص ١٢ ـ ١٣

في كتاب « الشعر » ، وقد ذهب الى ذلك كله الدكتور شوقي ضيف[1] وأكده كذلك حديثاً الدكتور شكري عياد محقق كتاب أرسطوطاليس في الشعر[2] .

ويذهب الدكتور إحسان عباس إلى أن ثقافة قدامة هي التي جعلته يشارك في النقد الأدبي ، إذ لا نكاد نشك في أن المنزلة الثالثة من كتاب الخراج إنما كانت صدى لكتاب أرسطوفي الخطابة . وأن استكماله لمراحل المنطق الأرسططاليسي (وكتاب الشعر مرحلة أخيرة فيه) هو الذي جعله يقوم بتأليف كتابه نقد الشعر[3] .

غير أن كتاب « نقد الشعر » يعتبر كذلك أول مؤلَّف من نوعه في تاريخ الدراسات الأدبية عند العرب . وعرف النقاد القدامى ذلك الفضل لقدامة فوصفوه بأنه الإمام المقتدى به في قدرته على دراسة الشعر ونقده .

ومما يؤكد هذا الفضل لقدامة أن السابقين له لم يؤلفوا في نقد الشعر ولم يدرسوا الشعر كما درسه قدامة على أسس فنية شاملة تتناول عناصره وتشرح عوامل سمو كل منها وغير ذلك .

ويكاد يجزم ناقد معاصر بأننا لا نجد قبله من ذكر كلمة « النقد » صراحة في صدر كتاب أوفي رأس موضوع ، وبناء على هذا يستطيع هذا الناقد أن يقرر أن كتاب نقد الشعر كان نقطة التحول في الدراسات النقدية ، لأنه أول بحث علمي منظم في النقد ، ولأنه وضع لهذا النقد معالم واضحة وأصولا ثابتة[4] .

وجهود النقاد السابقين لقدامة كابن سلام وابن قتيبة تتلخص في أنها كانت مقصورة عند ابن سلام على الشعراء . ويكاد مؤلف ابن قتيبة « الشعر والشعراء » يكون مقصوراً على الشعراء لولا ما جاء في مقدمته النقدية عن الشعر من حيث أقسامه وعوامل اختيار الشعر ودواعيه وعيوب الشعر .

---

(١) النقد : للدكتور شوقي ضيف ص ٥٢ (دار المعارف) وانظر كذلك كتاب : البلاغة تطور وتاريخ للمؤلف نفسه ص ٧٨

(٢) انظر كتاب : الشعر لأرسطوطاليس (تحقيق د. شكري عياد . دار الكتاب العربي ـ القاهرة سنة ١٣٨٧ هـ)

(٣) انظر : تاريخ النقد الادبي عند العرب للدكتور إحسان عباس ص ١٩٠

(٤) قدامة بن جعفر : د/بدوي طبانة ص ٣٦٢ .

ولقد أخذ بعض المحدثين على قدامة ابن جعفر في « نقد الشعر » أنه أهمل العاطفة إهمالاً تاماً . واتضح له هذا من دراسة قدامة للشعر وعدم الالتفات الى مؤلِّف الشعر وهو الشاعر . وكان أجدر بقدامة أن لا يفصل النص عن مؤلفه ، أو بعبارة أخرى : لا بد له أن يهتم بالفن وبفنانه . ولا يكون هذا الا بدراسة حال الشاعر وظروفه التي أوحت له قول ذلك الشعر . وهذا ما يعبر عنه بالحالة النفسية التي كان الشاعر واقعاً تحت تأثيرها حين أنشأ شعره[1] .

كما آخذه الدكتور بدوي طبانة كذلك أنه نظر إلى عناصر الشعر ودرس كلا منها مستقلا عن غيره ومتفرداً بنعوت خاصة[2] .

وليس هذا كل ما لوحظ على قدامة في كتابه « نقد الشعر » فحسب بل لوحظ عليه « انه لم يقم للذوق أي اعتبار في تقدير الأدب والحكم عليه وهو أمر لا ينبغي إغفاله »[3] .

يضاف إلى تلك الملحوظات أن الاستاذ طه احمد ابراهيم ـ رحمه الله ـ لم ينصف قدامة بن جعفر في جهوده النقدية ولم يعجبه ما أتى به من جديد في عالم النقد ، بل أخرجه من دائرة النقاد الى دائرة منظمي علم البلاغة . فقد قال عنه : « ومهما يكن من شيء ، فإن لكتاب نقد الشعر دلالتين :

١ ـ الأولى : أن قدامة أول ناقد قد أخذ الأدب بالتحكم النظري الفلسفي .

٢ ـ والأخرى : أنه ابتكر بعض الفنون البلاغية بعد ابن المعتز ، ونظم بعض بحوث البلاغة وهيأها للخلف . والذين يوازنون بين ما قاله أبو العباس المبرد في التشبيه وضروبه ، وبين ما قاله قدامة يدركون أثر هذا الأخير في تنظيم علم البلاغة .

---

(١) قدامة بن جعفر : د . بدوي طبانة ص ٣٧٢

(٢) المرجع نفسه ص ٣٧٥

(٣) المرجع نفسه ص ٣٧٥

ويقول الاستاذ طه احمد ابراهيم رحمه الله « فأما العناصر الفطرية السمحة الجليلة الضخمة التي تذاق وتشرح بالذوق ، هذه العناصر التي هي كل شيء في الشعر ، لم يصل إليها قدامة على ما بذل من تحديد وحصر » انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، طه أحمد إبراهيم ص ١٣٦ .

من أجل ذلك كله أخرج العلماء قدامة وكتابه من النقد الأدبي ووضعوه في عداد البلاغيين الذين جروا في فهم البلاغة على طريقة العلماء والمناطقة والفلاسفة »[1] .

غير أن الأستاذ طه أحمد إبراهيم لم يشر إلى أسماء أولئك العلماء الذين وضعوا قدامة في عداد البلاغيين . ومن هنا نتبين أن الأستاذ لم ينصف قدامة . ولهذا نعتبر جهود الأستاذ طه أحمد إبراهيم من المحاولات الأولى في تاريخ النقد عند العرب . وقد أتبعت محاولاته رحمه الله بدراسات نقدية واسعة أنعمت النظر في جهود قدامة وغيره .

وعلى الرغم مما أخذ على قدامة من مآخذ قد لا يصح بعضها في البحث العلمي الجاد ، فان قدامة بن جعفر يعتبر حقاً ممثلاً مرحلة جديدة من مراحل نمو وتطور النقد الأدبي عند العرب ، وهي مرحلة وسّع الناقد فيها ثقافته ، ونظر إلى الشعر نظرة ناقد موهوب مطبوع ، مضيفاً إلى ذلك ما تيسر له من ثقافات استطاع بها أن ينظر إلى الشعر العربي نظرة مختلفة عن نظرات النقاد السابقين له .

وإذا كان قدامة قد آخذه غير واحد من الباحثين فإنه قد أطراه وأنصفه غير واحد كذلك من المحدثين وممن أطراه الدكتور طه حسين واعتبر كتاب « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر : « أول ما ظهر من تشريع الفلسفة للأدب ، كتاباً في الشعر لقدامة بن جعفر اسمه « نقد الشعر »[2] وذهب الدكتور طه إلى أن أدباء العرب على الرغم من استنكارهم للقسم الفلسفي من كتاب قدامة إلا أنهم « بالغوا في استغلال مايتصل منه بالبيان البحت بل لقد اتخذوا من ذلك مثالاً ينسجون على منواله ، واجتهدوا أن يضيفوا أنواعاً من البديع جديدة إلى العشرين التي أوردها قدامة في كتابه . نذكر من هؤلاء الأدباء على سبيل المثال أبا هلال العسكري المتوفى في أواخر القرن الرابع فقد أحصى في كتاب «الصناعتين » خمسة وثلاثين نوعاً من أنواع البديع »[3] .

ونظر الدكتور بدوي أحمد طبانة إلى

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب : طه أحمد إبراهيم ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) مقدمة المحققين لكتاب نقد النثر ص ١٦

(٣) المرجع نفسه ص ١٩

جهد قدامة النقدي فقومه في دراسة علمية جادة . وانتهى إلى أن كتاب « نقد الشعر » هو أول بحث من نوعه في تاريخ الدراسات الأدبية في اللسان العربي ، وقد كان من أهم الأسباب التي دعت معاصري قدامة ومؤرخيه إلى الاشادة بذكره ، ونعته بالبلاغة والانفراد بالنقد ، والقدرة على دراسة الشعر ، حتى وصفوه بأنه الإمام المقتدى به في هذا الشأن[1] .

وقرر الدكتور طبانة في ضوء ذلك أن « كتاب نقد الشعر » كان نقطة التحول في الدراسات النقدية ، لأنه أول بحث علمي منظم في النقد ، ولأنه وضع لهذا النقد معالم واضحة وأصولا ثابتة[2]

ولقد لقي كتاب « نقد الشعر » من الباحثين المحدثين عناية أكثر في الدراسات النقدية الجادة التي قام بها الأستاذ الدكتور إحسان عباس في بحثه القيم : « تاريخ النقد الأدبي عند العرب : نقد الشعر في القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري »[3] . ففي هذه الدراسة تناول الباحث جهود قدامة في مجال نقد الشعر خاصة ، بالبحث للتقويم والمقارنة . وانتهى الدكتور إحسان الى أن قدامة في « النقد » ، يقف موقف العالم ، يصنف كل شيء بمنتهى الدقة والوضوح ، ويسيء الظن بالقارىء ، فيضع له الأنموذج ليقيس عليه . ولا ريب في أنه بنى أسساً نقدية متكاملة ، وغاص بذكائه الفذّ على أمور دقيقة في المعاني ، وآمن بأن النقد يقوم على نظرية محددة ، وقدامة في كل ذلك نسيج وحده ، وإن خالفناه في أكثر ما يريده من الشعر والنقد . لقد أراد ان يكون « معلم » النقد في تاريخ الأدب العربي ، كما كان أرسطاليس في تاريخ « المنطق » وفي كتاب « الشعر » . ولكن حيث كان كتاب الشعر عاملاً حافزاً ، كان كتاب قدامة كالمعلم المتزمت . . وإذا كان كتابه قد لقي من المهاجمين أكثر مما لقي من المؤيدين ، فانه يمثل اجتهاداً ذاتياً مدهشاً[4] .

---

(١) قدامة بن جعفر والنقد الادبي للدكتور بدوي طبانة ص ٣٦٢

(٢) المرجع نفسه ص ٣٦٢

(٣) انظر البحث عن قدامة بن جعفر في كتاب تاريخ النقد الادبي عند العرب للدكتور إحسان عباس من ص ١٨٩ - ٢١٤

(٤) المرجع نفسه ص ٢١٤

وأخيراً فإن قدامة بن جعفر في كتابه « نقد الشعر » يعتبر مسؤ ولا عن المرحلة الجديدة الغريبة في تاريخ النقد عند العرب إذ مثّل كتابه مرحلة ظهور النقد الفلسفي لأول مرة عن العرب . وقد لاحظ الدكتور شوقي ضيف أن قدامة بذل جهداً عقلياً واضحاً في تطبيق ما فهمه من مقاييس البلاغة اليونانية عند ارسطو على البلاغة العربية[1] مضيفاً إلى ذلك ما تمثله من تلك المقاييس عند الجاحظ وابن المعتز والأصمعي وثعلب وغيرهم ، ممن سبقوه الى النظر في وجوه البيان العربي واستنباط محاسن الكلام فيه .

والواقع ان كتاب « نقد الشعر » له فضل كبير على اللاحقين له سواء أولئك الذين ألفوا في نقد الشعر أو ألفوا في البديع كابن المعتز ، أو الذين أرخوا للشعر العربي وكتبوا في عيوبه كالمرزباني وغيره . ولا يعرف فضل قدامة في النقد حتى تظهر حقيقة كتاب « نقد النثر » المنسوب لقدامة وهو الراجح عندي على الرغم مما بذله الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي[2] ، من نسبته إلى ابن وهب الكاتب ، وهو مجهول تماماً لدى الباحثين ، وهو أمر سأوضحه في بحث آخر بمشيئة الله تعالى .

---

(١) انظر : البلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقي ضيف ص ٩٢ .

(٢) انظر : البرهان في وجوه البيان لابي الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب (تحقيق د . أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي ـ بغداد ، ط . الأولى سنة ١٣٨٧ هـ) .

وانظر كذلك (مقدمة محقق « كتاب نقد النثر » للأستاذ عبد الحميد العبادي والدكتور طه حسين) .